المسخ والتحول عند حسن أوريد
في روايته(سيرة حمار)

أعده

دكتور رجب أحمد عبد الرحيم حسن

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

كلية دار العلوم جامعة المنيا

المسخ والتحول عند حسن أوريد في روايته (سيرة حمار)

رجب أحمد عبد الرحيم حسن
البلاغة والنقد الأدبي، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر .
البريد الالكتروني:ragab.ahmed@mu.edu.eg

ملخص البحث

ترصد هذه الورقة البحثية، مظاهر المسخ والتحول عند الكاتب المغربي، حسن أوريد في روايته سيرة حمار، تلك الرواية التي توسلت بعالم الحيوان من أجل توجيه عدة خطابات ورسائل معينة.

وكان المسخ وسيلة الكاتب الفنية التي أبحرت بنا في عالم أخاذ وساحر وعجائبي، وخلف سطور تلك السيرة استطعنا – بفضل الله – قراءة بعض الأوجه الخطابية، ومعرفة التقنيات والحيل الفنية لتوظيف المسخ في الرواية، وقد قسمت البحث إلى مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث والمنهج المتبع وثلاثة مباحث أولها بعنوان : المسخ والتحولات في الأدب (الماهية والنماذج). وثانيها بعنوان: التحول وتقنياته في (سيرة حمار) لحسن أوريد. وثالثها بعنوان: الأوجه الخطابية في رواية (سيرة حمار). وجاءت الخاتمة : مشتملة على أهم النتائج ومنها: في عملية التحول والمسخ استخدم الكاتب حيلة (المسرح داخل المسرح) .تتشابه رواية (سيرة حمار) تشابها كبيرا مع رواية (الحمار الذهبي) لأفولاي من حيث التقنيات، والتوظيف، وأوجه الخطاب.التطهر بالماء طقس معهود في الأديان والمذاهب وموروثات وعادات الشعوب. عملية التطهر من المسخ هي عملية ولادة البطل الراوي من جديد، أو بالأحرى، هي توليد ذاته من ذاته. والعودة من الاغتراب.

الكلمات المفتاحيّة : المسخ والتحول – حسن أوريد – سيرة حمار – عالم الحيوان – عادات الشعوب.

Metamorphosis and metamorphosis according to Hassan Urid in his novel (The Biography of a Donkey)

Ragab Ahmed Abdel Rahim Hassan
Department of Rhetoric and Literary Criticism, Faculty of Dar Al Uloom, Minia University, Egypt.
E-mail : ragab.ahmed@mu.edu.eg

Abstract: This research paper examines the manifestations of metamorphosis and transformation of the Moroccan writer, Hassan Oored, in his novel The Biography of a Donkey, that novel that begged the animal world to send several letters and specific messages.

The metamorphosis was the writer's artistic means that navigated us in a fascinating, magical and miraculous world, and behind the lines of that biography we were able - thanks to God - to read some of the rhetorical aspects, and learn the techniques and technical tricks to employ the metamorphosis in the novel. The methodology used and three topics, the first of which is entitled: Terrible and Transformations in Literature (Essence and Models). The second is titled: Transformation and its Techniques in (Sirah of a Donkey) by Hassan Uraid. And the third is entitled: Rhetorical aspects in the novel (Sirah of Donkey). The conclusion came: It includes the most important results, including: In the process of transformation and metamorphosis the writer used a trick (the theater inside the theater). The novel (The Biography of a Donkey) is very similar to Avolay's novel (The Golden Donkey) in terms of techniques, employment, and discourse. In the religions, doctrines, legacies and customs of peoples. The process of purification from metamorphosis is the process of rebirth of the narrator hero, or rather, his generation of himself. And back from alienation.

Keywords: Metamorphosis and metamorphosis - Hassan Urid - The biography of a donkey The animal world - The customs of peoples

المقدمة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويدفع نقمه ويكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على نبي وضاء، يجلو الظلام، وبوجهه يسقى الغمام، وبعد.

فإن كثيرا من الروائيين، يتوسلون بتقنيات، وتيمات، وحيل فنية؛ من أجل تسليط الضوء على خطاب ما، فكل شيء متاح للأديب، من أجل توصيل الرسالة الإبداعية للمتلقي، وكان عالم الحيوان من الوسائل الثرية التي توسل بها الروائيون في مسرى حياتهم الإبداعية والأدبية، من أجل تضبيب رسالة ما، أو إخفاء خطاب؛ رغبة أن يشارك المتلقي في فك شفرات الرسالة، فيكون المتلقي مبدعا أيضا مع الأديب، وحاكما على سير الخطاب وتقنياته، حدث هذا مع الروائي الأمازيغي أبولي/ أفولاي في رائعته: (الحصان الذهبي)، ومع أوفيد في (مسخ الكائنات) وتكرر مع فرانز كافكا في (التحول/ المسخ)، وتجدد مع جورج أورويل في (مزرعة الحيوان)، وتوفيق الحكيم في (حمار الحكيم)،، واللائحة طويلة.

وتعد رواية (سيرة حمار) للكاتب المغربي حسن أوريد، من الروايات التي سارت على هذا النهج، حيث توسلت بعالم الحيوان، من أجل توصيل أوجه خطابية مختلفة، وكان مسخ بطل الرواية لحيوان، من التيمات الفنية التي أربكت القارئ، وجعلته يبحث عن المخبوء تحت الرماد، والمخبأ داخل اللاوعي.

ومن خصائص رواية (سيرة حمار)، أنها رواية عجائبية غرائبية، يتداخل فيها الواقع مع الخيال، حمَّل فيها الكاتبُ الراويَ بأكثر من وظيفة، إضافة إلى مهمة السرد، فعلى حين غرة من المتلقي، يدخل البطل ممسوخا إلى عالم الحيوان؛ ليشاهد، ويعي، ويسرد، وينقد، ويحلل ما يراه من خفايا البشر، ومكنونات الطبيعة والحياة؛ لتشتغل الخطابات الدينية، والأدبية، والفلسفية، والصوفية، والعجائبية، والأسطورية، والكاتب في ذلك يشبه ما فعله الكاتب الفرنسي هنري باربوس في روايته (الجحيم)، فالراوي يقيم في غرفة فندق،

ومن خلال ثقب في الجدار يتلصص على الغرفة المجاورة، يراقب تصرفات الناس في أحوالهم المختلفة، ما بين الحزن والفرح، الألم والمرض، الحب والخيانة، فهو في حالة من الغربة والعزلة، فهو لا يعيش الحياة إلا من خلال ما يراه من الآخرين.

و تيمة المسخ أو التحول تعد من الفن العجائبي، الذي هو في الحقيقة انزياح عن قواعد العقل، و خروج عن نواميس الطبيعة، وتخط لقوانين التجربة، والحس، وثورة على الواقع المنحط، وإدانة لفظاظته، وبشاعته، وغرابته. وينبني أيضا على تداخل الواقع والخيال، وصراع العقل واللاعقل، وجدلية الوعي واللاوعي، وتطابق الشعور مع اللاشعور. ويعبر كذلك عن تحكم اللاعقل في حياتنا الفردية والجماعية، ويشخص الخلل الموجود في واقعنا الموضوعي، بتأكيد غرابته، ولا معقوليته، وانحطاط إنسانه، وتحوله إلى كائنات ممسوخة، بسبب هيمنة الرذيلة على الفضيلة، أو رجحان قيم الغرائز والأهواء، على صفاء السريرة، ونقاء الروح[١].

من أجل هذا كان اختيارنا لهذا الموضوع من أجل معرفة، فنيات توظيف المسخ، والأوجه الخطابية المختلفة المتولدة من هذا التوظيف.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وخاتمة وتمهيد ومبحثين :

المقدمة : تحدثنا فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث والمنهج.

التمهيد: المسخ والتحولات في الأدب (الماهية والنماذج).

المبحث الأول: التحول وتقنياته في (سيرة حمار) لحسن أوريد.

المبحث الثاني: الأوجه الخطابية في رواية (سيرة حمار).

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات المختلفة.

---

(١) ينظر : جميل حمداوي : في روايات يحيى بزغود، موقع ديوان العرب الإلكتروني ، السبت ٢٧ نيسان (أبريل)، ٢٠١٣م .

ولكي أوفي هذه الخطة حقها من البحث والدراسة، فقد استخدمت الكثير من مفردات المنهج الفني، حيث يعتمد هذا المنهج على التأثر الذاتي للناقد، و على عناصر موضوعية، وعلى أصول فنية، لها حظ من الاستقرار. فهو منهج ذاتي موضوعي، وهو أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب، وطبيعة الفنون على وجه العموم.

والحمد لله أولا وأخيرا .

التمهيد

المسخ والتحولات في الأدب (الماهية والنماذج)

تتفق المعاجم العربية والغربية، في قضية المسخ ودلالته في اللغة، على أنه الانتقال والتحول، من الصورة الآدمية، إلى صورة كائن حي آخر، كحيوان ،أو حشرة ،وهو ما نجده في لسان العرب لابن منظور : الذي يرى أن " المَسْخُ: تحويل صورة إلى صورة أَقبح منها؛ وفي التهذيب: تحويل خلْق إلى صورة أُخرى؛ مَسَخه الله قرداً، يَمْسَخه، وهو مَسْخ، ومَسيخٌ، وكذلك المشوّه الخلق. وفي حديث ابن عباس: (الجانّ مَسِيخُ الجنّ كما مسخت القردة من بني إسرائيل)؛ الجانّ: الحيات الدقاق. ومسيخ: فعيل، بمعنى مفعول من المسخ، وهو قلب الخلقة من شيء، إلى شيء؛ ومنه حديث الضباب:(إن أُمَّة من الأُمم مُسِخَت، وأَخشى أَن تكونمنها) "[(١)].

ونقرأ في معجم لاروس الفرنسي الإلكتروني أن الميتامورفوز/المسخ (Métamorphose): "هو "التحول من هيئة إلى أخرى، إنه تحول كلي، يجعل الكائن ينتقل إلى حالة مخالفة تماما لحالته الأولى، إذ لا يصير معروفا." [(٢)]

والمسخ يحمل عنصر الصدمة والمفاجأة، لمن يحدث له ؛ لأنه يحمل الطابع الغرائبي، والعجائبي، والسريالي، والعبثي؛ ذلك لأنه " يتضمن طقسا عبوريا، ينتقل بموجبه الكائن من حالة إلى أخرى. وعلى الأرجح أن الحالة الجديدة تكون أسوأ من الحالة الأولى. لذلك فالمسخ هو تشوه يمس جسد الكائن؛ إنه

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت . لبنان ، ط٣، ١٩٩٤م ، ج٣، ص٥٥، مادة مسخ. والحديث صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٦٤٠) وصححه الألباني : صحيح الجامع رقم :٣٢٠٣.

(٢) https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais(Métamorphose)

انحدار على مستوى الشكل، يعقبه تغير في القيمة، والمكانة الاجتماعية، إذا كان موضوع المسخ إنسانا "[١].

وورد الحديث عن المسخ في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ [البقرة:٦٥]، حيث تحولوا من الصورة الآدمية إلى قردة يقول ابن كثير: "يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ﴾ يا معشر اليهود، ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه، فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت، والقيام بأمره، إذ كان مشروعا لهم، فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت، بما وضعوه لها من الشصوص، والحبائل، والبرك، قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة، نشبت بتلك الحبائل، والحيل، فلم تخلص منها يومها ذلك، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت . فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر، وليست بإنسان حقيقة "[٢].

وهناك أساطير تاريخية، تحدثت عن المسخ، منها الأوديسة، ورأس ميدوسا، وأسطورة نرسيس، وفي الثقافة العربية، تطالعنا أسطورة الغول كمسخ، فلقد تحدثت عن ذلك المدونات التراثية، مثل الدميري في حياة الحيوان الكبرى، وعجائب المخلوقات للقزويني، ونهاية الأرب للنويري، والحيوان للجاحظ، كذلك ألف ليلة وليلة[٣]. ومن النصوص العجائبية العربية القديمة أيضا نجد

---

(١) محمد أوشن : صور المسخ في الرواية ، جريدة هيسبرس الإلكترونية المغربية ، الجمعة ٠٥ يونيو ٢٠٢٠م.

(٢) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١٨م، ج١/ ١٨٥، ١٨٦.

(٣) ينظر: بلوصيف كمال، أسطورة المسخ والتحول في الثقافات القديمة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٢٣ ديسمبر ٢٠١٦م، ص٢٨٨.

قصة (سيف بن ذي يزن)، وما كتبه الرحالة العرب، وخاصة ما أورده ابن بطوطة من ظواهر عجائبية في كتابه: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

وأشهر الروايات التي تحدثت عن المسخ عبر التاريخ، نجد رواية (الحمار الذهبي) لأفولاي، حيث تعد أول رواية في تاريخ الإنسانية، وهي للكاتب الأمازيغي أفولاي، واسمه اليوناني لوكيوس أبوليوس. وتنقسم إلى ١١ فصلًا. تحكي قصة الشاب لوكيوس الذي سافر إلى مدينة هيباتا، وهناك حل ضيفا على رجل غني وبخيل، يدعى ميلو، وكانت زوجته بامفيلا مشهورة بالسحر. وحاول لوكيوس تجريب بعض وصفات التحول السحرية، ليتحول جسده إلى حمار، لكنه بقي محافظا على عقله. لتبدأ معاناته بسبب هذا المسخ. وتنتهي القصة بعودة لوكيوس إلى حالته السابقة، بعد أن غمر رأسه في البحر سبع مرات، وتضرع إلى السماء، فاستجابت الإلهة إيزيس لدعائه(١).

كذلك كتاب مسخ الكائنات لأوفيد، وهو عبارة عن موسوعة شعرية، تنقسم إلى ١٥ كتابا، وتضم أكثر من ٢٥٠ أسطورة يونانية ورومانية. منها أسطورة مثل: (إيو) الحسناء التي مسخها الإله (جوبتير) إلى بقرة(٢)، وقد كان لكتاب أوفيد الأثر الكبير على الأدب العالمي، واتضح هذا الأثر في أعمال دانتي، وبوكاتشيو، وشكسبير، وقد عكف المترجم الدكتور ثروت عكاشة على تزويد الكتاب بمجموعة من اللوحات للفنان يابلو بيكاسو، والتي رسمها لكتاب مسخ الكائنات خصيصاً(٣).

---

(١) ينظر : لوكيوس أبوليوس : الحمار الذهبي ، ترجمة : د . أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر. والدار العربية للعلوم بيروت ، لبنان، ط٣ / ٢٠٠٤م .

(٢) ينظر : أوفيد : مسخ الكائنات : ترجمة دكتور : ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م. ص٤٦.

(٣) ينظر : كتاب أوفيد : مسخ الكائنات .

و يُعد الكاتب التشيكي فرانز كافكا، من أهم الكتاب المحدثين الذين استعادوا مفهوم التحول كما رأيناه سابقا. وذلك في روايته "المسخ" التي صدرت سنة ١٩١٥م. وتحكي قصة غريغوري الذي استيقظ ذات يوم، ليجد أنه تحول إلى حشرة عملاقة. لا يقدم لنا الكاتب سبب التحول. هكذا فجأة يجد البطل نفسه أمام هوية جديدة، تطلبت منه الوقت الكثير ليستوعبها. غير أن أفراد الأسرة تكتلوا للحفاظ على السر من رؤساء غريغوري في العمل؛ طمعا في عودته إلى حالته السابقة، ليستأنف عمله باعتباره المعيل الرئيس للأسرة. وتكون نهايته مأساوية، حيث يموت تحت مكنسة(١).

ونلاحظ أن الرواية تتضمن تحولا رئيسيا، وهو تحول البطل إلى حشرة، وتحت هذه الصورة الكبرى هناك تحولات أخرى ثانوية، وهي تحول علاقة أفراد الأسرة مع غريغوري وشعورهم بالاشمئزاز، بسبب شكله البشع، ثم التحول النهائي المتجلي في الموت.

لقد قدمت رواية المسخ والتحول للقارئ " حالة من حالات الفشل تؤدي للموت، وهي قصة تجسد أزمة وجود، وتشير في وضوح إلى انقسام يقع نتيجة لتراكمات، فيفصل بين الوعي واللاوعي"(٢).

والذي جعل الذات تنقسم إلى هذا النحو هو عدم قدرة الذات على التأقلم مع الواقع؛ فكان هذا التحول والمسخ؛ هروبا عبثيا من وطأة الحياة الكئيبة الرتيبة، حتى وإن كان هذا الهروب نهايته صادمة وقاسية. لقد جاءت حشرة (التحول)، كحدث مفصلي، يمكن اعتباره ثورة أدبية أسست لما بعدها، كما أنها تمثل نقدا للحداثة التي ميزت أوروبا في تلك الفترة، فهي ثورة على المادية المقيتة التي

(١) ينظر : فرانتس كافكا: الدودة الهائلة، ترجمة الدسوقي فهمي، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، الطبعة الأولى١٩٩٧م، ص ١١ .

(٢) السابق ، ص ٩ .

تنظر للبش على أنهما كائنات ليس بها روح، وأنهم مجرد نسخ مكررة، وأرقام معدودة.

لقد عبرت الرواية عن الحياة البائسة التي يعيشها الموظفون والعمال داخل آلة رأسمالية تستبيح كرامتهم، وتجردهم من إنسانيتهم، وتحولهم إلى حشرات، " لقد تأثر كافكا بالمرحلة التاريخية التي شاءت الأقدار أن تكون حياته فيها (١٨٨٣م- ١٩٢٤م) فهي مرحلة شهدت هيمنة الروح المادية، وما أدت إليه من صراعات بشرية مختلفة، ومن مسخ لإنسان العصر الذي كاد يتحول لأداة، وعبد للمادة والآلة التي اقتحمت عليه حياته اقتحاما ؛ لتنزوي أمام ذلك إنسانيته، والجانب الروحي فيه، إلى أقصى درجات الانزواء"(١).

وتنتمي رواية (المسخ) لكافكا إلى المذهب العبثي في الأدب، والذي نشأ بين أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، متأثرا بفكر الفلسفة الوجودية، والعدمية، والحركة السريالية في الأدب.

ولقد كان لكافكا تأثير في أجيال عديدة، فلقد تأثر به : " لويس بورخيس، وألبير كامو، وسارتر، وروب جرييه، وناتالي ساورت وغيرهم؛ بل إن ظلاله حاضرة في أعمال كثير من الأدباء في مختلف أنحاء العالم، وقد ظهر خلال القرن العشرين مصطلح «الكافكوية» ليشير ويؤكد الأثر، وهو مصطلح يعبر عن الأعمال الأدبية التي تحتشد بالغرائبيات والسوريالية، ولعل الأمر الذي قد يفاجئ كثيرين هو أن رائعة جابرييل جارسيا ماركيز «مئة عام من العزلة»، هي من أثر قراءة الروائي الكولومبي الشهير لرواية المسخ، ويقول ماركيز بهذه المناسبة: «عندما أنهيت قراءة المسخ، شعرت بشوق لا يقاوم للعيش في ذلك

(١) الدكتور نجم عبد الله كاظم ، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الأول + الثاني ٢٠١٠م ، ص ٢٣٠ .

الفردوس الغريب، يومها حملت الآلة الكاتبة محاولاً كتابة شيء من شأنه أن يشبه بطل كافكا المسكين يتحول لصرصور ضخم»[١].

والعالم العربي لم يكن بمعزل عن العزلة الكافكاوية والوجودية يقول: " نجم عبد الله كاظم» صاحب دراسة كافكا في الرواية العربية «إن الروائيين العرب لعلهم أكثر تمثل لموضوع (السلطة والبطل المطارد) الكافكوية، هم: فاضل آل عزاوي، وجبرا إبراهيم جبرا، وجورج سالم، ومحيي الدين زنكنة"[٢].

ويحضر موضوع المسخ بشكل جلي في الرواية المغربية، خاصة في رواية محمد زفزاف (المرأة والوردة)، وهي من " النماذج الروائية الأولى في المغرب التي ظهرت فيها أساليب الرواية الأوروبية المعاصرة، ومن هذه الأساليب التي استثمرتها (المرأة والوردة) مسألة المسخ (...) وهي وسيلة فنية، وظفها الكاتب من أجل تصوير حالة بطله، وهو يتعامل مع الغرب، ومع اللذائذ الحسية التي كان يغرق فيها، واستخدام الكاتب لهذا الأسلوب في الرواية، يرمي إلى إلقاء الضوء أيضا على طبيعة العلاقة التي كانت تربط البطل بعالم الغرب، فلكي يصور ضياع "محمد" في أوروبا، جعله ينظر إلى الناس من حوله، وكأنهم مسخوا إلى حيوانات، إلى قرود، خصوصا في تلك المدينة الإسبانية السياحية التي تجمع الناس من أقطار مختلفة"[٣].

---

(١) علاء الدين محمود : صحيفة الخليج الالكترونية، الأحد ٣ جمادى الآخر ١٤٤٢هـ، ١٧ يناير ٢٠٢١ م.

(٢) الدكتور نجم عبد الله كاظم : كافكا في الرواية العربية ، ص ٢٢٨ .

(٣) لحمداني حميد: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة الدار البيضاء، ط ١/١٩٨٥م، ص: ٣٠١.

ومن الروائيين المغاربة الذين تأثروا كذلك بالحمار الذهبي محمد الهرادي في روايته (أحلام بقرة) [١]، وبنسالم حميش في روايته: (سماسرة السراب)[٢]، و (محن الفتى زين شامة) [٣]، ومحمد عز الدين التازي في روايتيه: (المباءة) [٤] و(رحيل البحر) [٥]، وشغموم لميلودي في (عين الفرس) [٦]، ويحيى بزغود في روايته الرائعة (الجرذان) [٧].

ومن الروايات العربية التي استفادت من ذلك المنحى الفانطاستيكي رواية "الحوات والقصر" للطاهر وطار، و"التجليات" لجمال الغيطاني، و"حمائم الشفق" لخلاص الجيلاني، و"ألف وعام من الحنين" لرشيد بوجدرة، و"اختراع الصحراء" للطاهر جاووت، و"هابيل" لمحمد ديب، و"النهر المحول" لرشيد ميموني، و"ألف ليلة وليلتان" لهاني الراهب.

---

(١) محمد الهواري: أحلام بقرة، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٨م، الدار البيضاء، المغرب.

(٢) سماسرة السراب، صادرة عن المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٦م.

(٣) محن الفتى زين شامة ، صادرة عن دار الآداب ، ١٩٩٣م .

(٤) المباءة ، صادرة عن أفريقيا الشرق.

(٥) رحيل البحر : صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٣م.

(٦) عين الفرس: دار الأمان ، الرباط.

(٧) الجرذان، منشورات منتدى الرحاب ، وجدة ، المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

المبحث الأول

التحول وتقنياته في سيرة حمار لحسن أوريد

(سيرة حمار) لحسن أوريد[١]، بالرغم الطابع التاريخي للرواية، إلا أنها تتضمن رموزا سياسية وثقافية. كما أنها تفتح أعين القارئ على قضايا وجودية، تحيل على قلق الإنسان، وإحساسه بالانشطار والتشظي، في عالمنا المعاصر. (فسيرة حمار) هي كوميديا هزيلة ظاهرها الضحك، ولكنها ممتلئة بالفكر المشرب بالمرارة، التي تنطوي على كثير من نقد الواقع.

وسبب تأليف حسن أوريد رواية (سيرة حمار)، ما حدث له أثناء زيارته لدولة الجزائر، ولقائه بمسئول جزائري، فشاهد مأثورا أثريا يعود إلى الحقبة الرومانية، فقال أوريد : هذا يذكرنا بأفولاي صاحب (الحمار الذهبي) أول

(١) حسن أوريد من مواليد ١٤ يوليو ١٩٦٢م درس في المعهد المولوى، وحصل على الشهادة الثانوية منها، التحق بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، التي حصل فيها على شهادة الإجازة (البكالوريوس) في القانون العام، ودبلوم الدراسات المعمقة، ونال شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية سنة ١٩٩٩ م ، في موضوع "الخطاب الاحتجاجي للحركات الإسلامية والأمازيغية فى المغرب"، عين موظفًا بوزارة الخارجية عام ١٩٨٧م، وانتقل إلى واشنطن سنة ١٩٩٥م، حيث شغل مهمة المستشار السياسي للسفارة المغربية، تم تعيينه في يوليو عام ١٩٩٩م، كأول ناطق رسمي باسم القصر الملكي، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى شهر يونيو عام ٢٠٠٥م. ومن أعماله الروائية "الحديث والشجن" ١٩٩٩م ، "صبوة فى خريف العمر" ٢٠٠٦، "الموريسكى ٢٠١١، "سيرة حمار" ٢٠١٤، "الأجمة" ٢٠١٤. وله كتب أخرى منها: الإسلام السياسي في إيران (ترجمة)، "الإسلام والغرب والعولمة"، ١٩٩٩، "فيروز المحيط" (شعر)، ٢٠٠٩م، "مرآة الغرب المنكسرة" (دراسة)، ٢٠١٠م، "تلك الأحداث" (مقالات)، ٢٠١٠م، "يوميات مصطاف" (شعر)، ٢٠١٠م، "زفرة الموريسكي" (شعر)، "صرخة تينهينان"، ٢٠١٤م. (صحيفة اليوم السابع الإلكترونية بتاريخ الأربعاء، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٩م ٠٦:٠٠ صباحا، وللمزيد عن سيرة الكاتب ينظر : حسن أوريد : رواء مكة، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م) .

رواية في تاريخ الإنسانية، فأجابه بأن" تاريخنا يبدأ مع سيدي عقبة"، هذا التعليق، وشم ذاكرة حسن أوريد الروائية، وجعله يعود بسرديته إلى العمق الحضاري لأرض تمازغا، منتصرا بأن تاريخنا لا يمكن اختزاله في بعد واحد(١)، فحسن أوريد يريد أن يفتخر بالحقبة الأمازيغية التي كانت قبل الفتح الإسلامي.

كذلك تأثر أوريد بمهرجان، يعقده اليساريون حول الحمار، تنظمه جمعية مغربية في قرية صغيرة في قصبة بني عمار، على بعد زهاء ساعتين من الرباط بالسيارة. رأى اليساريون في الحمار، رمز البذل، والصبر، والوفاء، والتضحية، والخدمة، ووجدت الاتجاهات الأمازيغية في الحمار مناسبة، لترتبط بالجذور العميقة، لتاريخ شمال أفريقيا، والتذكير بصاحب (الحمار الذهبي) أفولاي، في أول رواية عالمية، ذات منزع فلسفي، ولتذكر كذلك بأن رمزية الحمار أو الأتان (أنثى الحمار)، اقترنت في شمال إفريقيا بالتمرد، إذ كان يُنعت كل ثائر ببوحمارة، أو بوتْغْيلوت بالأمازيغية(٢).

وفي هذا المبحث سنتحدث عن : أحداث رواية سيرة حمار، و تقنية التحول والمسخ .

أولا- أحداث رواية سيرة حمار

سيرة حمار لحسن أوريد، بنيت على تقنية التحول والمسخ، ويمكن للدارس أن يكتشف علاقة هذا النص الروائي بنص أفولاي. وفي هذا الصدد، يقول الكاتب المغربي حسن أوريد: " في هذا السياق، استحضرت سابقة وهي عمل أفولاي، الروائي الأمازيغي صاحب أول رواية في تاريخ البشرية، والموسومة

---

(١) صرح المؤلف حسن أوريد بذلك في لقائه بقناة الجامعية على اليوتيوب . ينظر: مجلة الجامعية aljamiaia بتاريخ : ١٥ أبريل ٢٠١٤م.

(٢) لمعرفة المزيد عن هذا المهرجان ينظر : أسماء باشري: مهرجان للحمار في المغرب... مسابقات وجوائز وأدب، موقع أندبندنت عربية الإلكتروني، الاثنين ٢٤ يونيو ٢٠١٩م.

بـ"الحمار الذهبي" لكي أربط الصلة بواحد من أجدادي، فتاريخي أعمق من أن يحصر في فترة، فإذا كان لي أجداد كتبوا باللغة العربية، فلي أيضا أجداد كتبوا باللاتينية؛ إنها محاولة لإعادة الاعتبار لهذا الجانب من تاريخنا" [١].

و رواية سيرة حمار عبارة عن ١٣٠ صفحة من القطع الصغير، وهي عبارة عن سيرة ذاتية لبطل هو أذربال بن بوكود يوليوس، وتنقسم الرواية لثلاثة أقسام:

القسم الأول: النشأة والخلفية:

يتحدث فيها المؤلف عن الخلفية الاجتماعية والثقافية لأذربال(بطل القصة)، وعن الفترة التي عاش فيها، فهو من مدينة أليلي عاصمة موريتانيا الطنجية، أبوه بوكود يوليوس يشتغل محاسبا في المدينة، وأمه إيزة من الملاكين الأصليين للأرض، تتحدث باللغة الأمازيغية، أما أبوه فيتحدث باللغة اللاتينية، تعلم أذربال في مدينته اللغة اللاتينية، إضافة للغة الأمازيغية، ثم رحل إلى قيرطة إحدى حواضر الرومان؛ لاستكمال دراسته، ثم رحل لقرطاج ليدرس القانون والفلسفة، وتعرف فيها على هيباتا حبيبته التي رفضت أن ترحل معه إلى روما، لأنها كانت وحيدة أهلها، وبعد هذه الرحلات التي اكتسب فيها جميع أنواع العلوم، والفلسفة، والقانون، والسياسة، رجع إلى بلدته إليلى. [٢]

القسم الثاني: سبب التحول والمسخ

حيث يتحدث المؤلف عن سبب التحول، وهو أن بطل القصة أذربال بعد عودته من روما إلى إليلى، موطنه الأصلى، أغرم بثيوزيس زوجة أوكتافيو عضو مجلس الشيوخ، والممثل لموريتانيا الطنجية، ودامت اللقاءات الحميمة بينهما، ونظرا لوخز الضمير، وعدم رضا أم أذربال والمجتمع عن تلك العلاقة،

---

(١) صرح المؤلف حسن أوريد بذلك في لقائه بقناة الجامعية على اليوتيوب . ينظر: مجلة الجامعية aljamiaia بتاريخ : ١٥ أبريل ٢٠١٤م .

(٢) ينظر : حسن أوريد ، سيرة حمار، دار الأمان، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م ، ص (٥- ١٢) .

وخشية من الفضيحة، لذا اقترحت الخادمة حاتبوت على سيدتها أن يتناولا شرابا سحريا، يتحولان فيه إلى طائرين يحلقان في الأجواء، كيفما يشاءان، ويعشقان بعضهما إلى الأبد، بدون منغصات[١].

القسم الثالث: المسخ والتحول

حيث شرب أذربال الشراب الذي أعدته الخادمة، وبدلا من أن يتحول لطائر، تحول لحمار، وتخلت عنه محبوبته والخادمة، لما رأوه على تلك الحال، حيث لم يجد من ينقذه من مصيره، وجاء خدم القصر، وحراسه، ووجدوا حمارا بالمكان، فأشبعوه ضربا، وأشيع بالمدينة أن اللصوص خطفوا ثيوزيس زوجة أوكتافيو، وخادمته، وتركوا خلفهم حمارا، وأشيع أيضا أن الفتى المثقف أذربال، قد قتله اللصوص أيضا، فأقاموا له جنازة، كل ذلك والحمار أذربال في الحظيرة يسمع نعيه وجنازته، ولكن أمه غير مصدقة أن ابنها مات، وفي أثناء الجنازة نهق أسنوس(أذربال سابقا)، فأزعج الحاضرين في الجنازة، فانهالوا عليه بالضرب.

وهكذا بدأت معاناة أذربال، حيث غير اسمه ليصبح أسنوس، وعاش في دنيا الحمير، ينتقل من هم لهم، فمرة يعمل حمالا عند تاجر جشع، فيكلفه مالا يطيق، ونظرا لفحولة أسينوس فقد قرر مالكه خصيه، فهرب، حتى وصل لقبيلة من البرابرة تعبد الحمير، فعبدوه، وعاش بينهم في رغد من العيش، ثم حاربت هذه القبيلة قبيلة أخرى، تكره الحمير، وتعبد الفرس، فأمرت بإعدامه نكاية في قبيلته، وفي لحظة الإعدام أحضروا الفرس معبودتهم لتشاهد إعدامه، فنزا على الفرس التي أغرمت به، ثم أخذه القوم وطردوه من القبيلة؛ ليعيش عند فيلسوف في الجبل، يتعلم منه فنون الحكمة، وفي تلك الأثناء عشق أتانا وأغرم بها، ثم جاء التاجر المالك لهذا الحمار لبيت الفيلسوف، وطلب منه أن يعطيه حماره، أو أن يدفع ثمنه، فرفض الفيلسوف، الذي قبضت عليه الشرطة،

(١) ينظر: السابق (١٣- ١٩).

وحبسته، ثم بيع الحمار لصاحب السيرك الذي أراد أن يقدمه طعاما للأسد، فصارع الأسد بقوة التفكير، لا بقوة الجسم فنجا، وأعطي صكا بالحرية، حيث ذهب لعين ماء في الجبل واغتسل فيها، ورجع لأمه، وسمع في بلدته أن أتانا وضعت طفلا، وحين دخل على أمه تفاجأت به، قالت له: كنت أعلم أنك لم تمت، وخيم عليهما الصمت، لم يقطعه إلا صراخ طفل، فدهش وقال : طفل في بيتنا؟ هل تزوجت يا أمي ؟ فقالت الأم : هذا طفل وجدته ملقى في أرياض المدينة، مع أتان تحنو عليه، فسألها عن لون الأتان؟ فعلم أنها هي الأتان التي عاشرها عند الفيلسوف، فذهب إلى نفس المكان، وهنا كانت المفاجأة إذ وجد الخادمة حاتبوت التي كانت تضمر له الحب، وهي التي أعدت الشراب له ولها ليكونا طائرين، وأعدت الشراب لسيدتها لتكون حمارا، إلا أن أذربال شرب الشراب الخطأ، فتحول هو لحمار، فلما رأت ذلك، شربت من نفس الشراب، ومسخت أتانا، ثم إنها اغتسلت من نفس الشراب، وعادت لإنسية، وهكذا انتهت القصة، ورجعا لبعضهما بعد عذاب[١].

ثانيا- تقنية التحول والمسخ

تحول البشر ومسخهم، شغل الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض، والتحول كان إما أمنية، أو عقوبة، فكثير من البشر يتمنى أن يصير طائرا، أو نهرا، أو غولا، كل حسب غايته، يقول عبيد الله بن مسعود الهذلي: [٢]

أكاد إذا ذَكرتُ العهد منها ... أطير لَوَ أنّ إنساناً يَطير

وهناك من تحول رغما عنه نتيجة لخطاياه، كما تحول قوم عصاة في القرآن لقردة وخنازير، بقدرة الملك سبحانه، وهؤلاء حولوا حقيقة. وهناك بشر حولوا في الفن لمسوخ مختلفة منهم. وهناك آدميون تحولوا لحيوانات وطيور مختلفة،

---

(١) حسن أوريد : سيرة حمار (٢٠- ١٢٦)

(٢) الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني : تحقيق سمير جابر، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية، ٦ / ١٧٦.

كما في (ألف ليلة وليلة). ومنهم من حول لحمار كما في (الحمار الذهبي) لأفولاي. وكما في قصتنا تلك، ومنهم من حول لذبابة كما في(المسخ) لكافكا، كذلك تحول القيصر إلى إله كما في (مسخ الكائنات) لأوفيد .

يمكننا القول إذن: إن مختلف سرديات المسخ تتضمن عناصر مشتركة، تجعلنا قادرين على صياغة بنية حكائية وهي: التحول؛ الخطيئة؛ العقاب؛ القوة الخارقة؛ الرمز ؛ الغرابة؛ فعلى درب كافكا في (المسخ)، و(الحمار الذهبي) للأمازيغي أفولاي، نسج أوريد روايته الموسومة (سيرة حمار). ولكي نفهم تقنية التحول والمسخ فإننا سنتحدث عن وسائل الكاتب الفنية لإقناعنا بالمسخ والتحول، و الحيلة الفنية للولوج للحظة المسخ والتحول. ولحظة التطهير والخروج من المسخ.

أ- وسائل الكاتب الفنية لإقناعنا بالمسخ والتحول

ففي روايتنا تلك نجد بطل القصة أذربال قد تحول لحمار، ولكنه حمار مفكر بفعل شربة سحرية خاطئة، هذا التحول الذي يأباه المنطق وتنفر منه الحقيقة، لا يوجد إلا في الفن، ذلك أن الحقيقة الفنية ربما تكون أصدق من الواقع عند بعض الكتاب، و لكي يقنعنا الكاتب بهذه الحقيقة الفنية، وأن نقبل بفعل المسخ والتحول فقد عمد إلى :

١- عنْوَنَ الكاتب لروايته ب(سيرة حمار)، والعنوان بهذا يفصح عن صدمة للقارئ، وكسر أفق توقعه، فمن المعهود أننا نسمع عن سيرة إنسان، فما بالنا هنا نرى سيرة حيوان ؟، والعنوان بهذا فيه إشارة " إلى إمكانية وجود مظاهر رمزية، وخيالية، لأن هذه السيرة هي برنامج لإعادة بناء وجود الحياة على امتداد زمكاني، قد يطول أو يقصر، فحسن أوريد جعل سيرة حمار، كاعترافات جان جاك روسو لممارسة متصلة بحياة الفرد، وما رآه الحقل الاجتماعي من تطورات وانتكاسات. فالعنوان جاء كبنية اسمية فيها أحداث،

ومعطيات رغم غياب المبتدأ (الفاعل)، وهو ما يمكن أن يحفزنا على التوقع والافتراض[١]".

فالكاتب بهذا من خلال العنوان، يوحي بأن هذه الرواية بها مفاجأة وعجائبية، ولذا سيبحث القارئ بشغف عن تلك المفاجأة، وكيف سيكون للحمار سيرة ؟ ومن سينقلها عن الحمار؟

٢- عمد المؤلف إلى حقبة تاريخية قبل الميلاد، موغلة في القدم، زمن سطوة الحضارة الرومانية، وامتدادها عبر العالم القديم، وصولاً إلى شمال إفريقيا وموريتانيا، وما حولها من مدن وحواضر، كانت تتبادل المعارف والصلات، وتتأسس على ثقافات عريقة. ففي هذا الزمن كان الخيال واسعا، والتحول والمسخ والأساطير كان من مظاهر هذا العصر؛ بفعل إيمانهم بالآلهة المتعددة التي تتحكم في مصير البشر، فتمسخهم وتحولهم من حال لحال، فالآلهة قادرة على أن تحول الإنسان لحجر، أو لشجر، أو لطائر، أو لحيوان، كذلك العكس، كذلك كان هناك السحر الذي كان يسهم أيضا في التحول من حال لحال. فهذا توطئة منطقية لتحول بطل روايتنا لحمار، فهو في زمن يقبل ذلك، وفي مكان يعج بتلك الظاهرة.

٣- كان على الكاتب أيضا لكي يقنعنا بالمسخ والتحول، أن يجعلنا نعيش الماضي بكل ما فيه من أحداث تاريخية، وهذا كان دور القسم الأول من الرواية، إذ ذكر لنا الكاتب الخلفية الثقافية التاريخية للمكان والسكان، ولم يكتف بذلك، بل جعل أسماء الأبطال تاريخية نتيجة لذلك، مثل: أذربال، وهيباتا، وأوكتافيو، وثيوزيس، وحاتبوت. أما اسم أسنوس، فهو الحمار باللاتينية والأمازيغية على السواء، فالكاتب يجعلنا نحلق ونعايش واقعا مغايرا

---

(١) د. الغزيوي أبو علي- د.بن المدني ليلة : مقاربة موضوعاتية لسيرة حمار للمؤلف حسن أوريد بين المقدس والمدنس، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية، تاريخ النشر: ٢٠١٨/٨/٢١م.

لهذا الواقع المعاصر، واقع مليء بالخيال والأساطير والخرافة، وكسر أفق التوقع . فالتحول والمسخ فيه شيء عادي إذن . ولذلك كانت الوقائع التي مر بها أسنوس (أذربال سابقا)، وقائع أسطورية. منها: حين تلتقط الصورة سمات انحطاط الإنسان، من خلال مظاهر المجون والاختلاط والنزوة التي لا تفرق بين الإناث والذكران، وكأننا أمام إنسان أدنى من مرتبة الحيوانية. وفي مقابل انحطاط الإنسان، تتعاظم صورة الحمار، إذ يتبرم من طلب النساء التبرك بعضوه، في طقس غريب ينضح بالشعائرية الأسطورية.

٤- لكي يقنعنا الكاتب أيضا بفكرة المسخ؛ جاء السرد عجائبيا كذلك، تُجلِّله عبارات: «وكان عليَّ أن- حتى إذا بلغ الجمع مقصدهم- حتى إذا كان المساء... »، لدرجة نشعر كأننا إزاء حكايات ألف ليلة وليلة، توهم بأن الحدث غائر في الزمن .

٥- فكرة التحول والمسخ، وقبول البطل أذربال لها، وهو المثقف الفيلسوف الذي رحل لبلاد الحكمة والنور غير مبررة، هذه الفكرة غير مبررة واقعيا وفنيا، إذ كيف به يقبل بها بدون أن يسأل نفسه – ولو لحظة- عن عواقبها، خاصة أن حياته كانت طبيعية، بدون نتوءات غير منطقية، وهذا ما نص عليه البطل في افتتاحية الرواية حيث يقول: " لم يكن ما عشته في طفولتي، وفي شرخ شبابي، يهيئني إلى ما سوف أعيشه من أحداث ومغامرات. كانت حياة هادئة كحيوات الطبقات المتوسطة، من ساكني أليلي الذين ليسوا من الباطرسيين، أصحاب النفوذ، والجاه، والسلطان، ولا هي حياة الدهماء من أصحاب الحرف اليدوية. كانت أحلام طبقتنا أن تنال حظا من معرفة، يُعين على شئون الحياة في هذه المهن التي لا يقدر عليها النبلاء، ولا ترقى إليها الدهماء"(١).

إذن فحياة البطل عادية، لا ترقى لأن يحدث بها هذا المسخ الذي كسر أفق التوقع، فهذه فكرة غبية، و كان البطل يعلم ذلك، حيث كان قلقا وحذرا من

(١) حسن أوريد: سيرة حمار ، ص ١٩ .

الدواء الذي ستصنعه الخادمة حيث يقول: " وقد ارتبت في شان هذا الدواء، ولكني لم أرد أن أغضب ثيوزيس، وهي نفسها لم تكن لتوقن في شأن شراب يغير خلقة الإنسان، ولكن الحب أعماها، وهي صاحبة العقل، بل إن كثيرا من الحماقات مصدرها العقل، حين يخضع للهوى"(١).

إذن فالبطل غلبه الهوى، ونسي عقله، مما جعله لا يفكر في العواقب، ففي لذة الشهوة، وفي طقوس الجمال، ليس هناك مجال لإعمال العقل، ولاسيما إذا امتزج ذلك بالخمر ولذة الشراب، وخاصة إذا كان بين امرأتين جميلتين مغرمتين به، إحداهما ذات منصب وجمال، والثانية جارية غلبها الهوى، ولكن لم تبح به، يقول أذربال: " حتى إذا مالت الشمس إلى المغيب، قصدت بيت ثيوزيس، فشربت خمرة معتقة، واختليت بها في مخدعها، ونلنا حظنا من لذة، ورسمنا ما نبتغي من حياة بعيدا عن أليلي، وموريتانيا بل عن سلطان روما، إلى بلاد القبط، وعاصمتها الإسكندرية، فإذا كان منتصف الليل، أتت الخادم حاتبوت بالشراب، فألقت إلى بابتسامة مغرية، ونظرت إلى بعينيها النجلاوين، ثم تحولت عني. نقعت من الشراب، فإذا هو سائغ لذة للشارب، ثم نقعت ثانية، وضممت إلى ثيوزيس، فغلبتني نشوة لم أعرفها قط، بددت المخاوف كلها، فاستصغرت كل جليل، وهزأت بكل صعب، ثم أكببت على الشراب حتى أتممته، وطلبت قدحا آخر، ثم شملتني غشاوة٠٠٠ "(٢).

ب-الحيلة الفنية للولوج للحظة المسخ والتحول

بدا لنا من خلال قراءتنا، أن التحول والمسخ في سيرة حمار، كان عبارة عن مسرحية داخل مسرحية (ميتامسرح) (٣)،"حاول فيها أوريد أن يضرب

---

(١) السابق : ص ١٩.

(٢) حسن أوريد: سيرة حمار، ص ٢٠.

(٣) ينظر بحثنا : (المسرح داخل المسرح) عند صلاح عبد الصبور في مسرحيته : ليلى والمجنون ، حولية كلية العربية. كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، المجلد ٢٤، العدد ١٠، أكتوبر ٢٠٢٠م.

الصورة إلى المتفرج بطريقة إيروتيكية وفنتازية، وبلغة دراماتيكية لا تعرف التعقيد ولا التكلف وهذه التعددية الدلالية ميزت العرض ثقافيا واجتماعيا"[١] .

كان أذربال قد تشرب الحكمة والعلم والفلسفة، ولكن مادية الشهوة المحرمة هوت به إلى الأرض، حيث أحب زوجة رجل مهم في الدولة، ووصل به الحب للعشق المحرم، وبدلا من التوبة من ذلك الحب، نراه يريد أن يكون طائرا يستمتع بالحب أكثر وأكثر، وهذه مفارقة إذ كيف للمدنس أن يسمو؟ وهل يقبل عالم الطيور الطاهر أن يلجه مدنس بالعشق والخيانة ؟

كان أذربال متجها للهاوية، فالعشيقة متزوجة، وجميلة، وزوجة رجل مهم، وكبيرة عنه في السن، والمجتمع شاعت به تلك العلاقة، والأم رافضة، فكان لا بد من حل، والحل أن يلج البطل لعبة خطيرة هي المسخ والتحول.

لحظة التحول والمسخ والدخول في اللعبة الداخلية، تتشابه كثيرا مع لحظة تحول البطل في الحمار الذهبي لأفولاي[٢]، فلحظة أذربال هنا في سيرة حمار كانت كالتالي : « نقعت من الشراب فإذا هو سائغ لذة للشارب، ثم نقعت ثانية وضممت إليّ ثيوزيس، فغلبتني نشوة لم أعرفها قط، بددت المخاوف كلها

---

(١) دكتور الغزيوي أبو علي : سيرة حمار للمؤلف حسن أوريد بين درامية العرض وتأويلية اللغة الاستباطانية ، منشور على موقع tv lana ١٧ أغسطس ٢٠١٩م.

(٢) البطل لوكيوس رغب أن يعيش هو نفسه تجربة التحول، فألح على خادمة مضيفه ميلو أن تستجيب لرغبته، فلم تمانع في ذلك، وحين أحضرت له المرهم المطلوب، أخطأت في تناول العلبة المناسبة، فكانت نتيجة ذلك أن تحول لوكيوس بعد دهن جسده به إلى حمار، وراح يشاهد نفسه كيف أخذت تبرز في جسمه كل أعضاء الحمار وكيف أخذ يتصف بجميع صفاته الظاهرة باستثناء عقله، الذي ظل عقل إنسان، فاسقط في يده وكذلك حبيبته الخادمة، غير أنها وعدته بأنها ستحضر له في الصباح التالي باقة من الورد ليأكل منها، ويستعيد بذلك شكله الإنساني، ثم قادته إلى الإسطبل، ليقضي فيه ليلته مع حصانه وحمار مضيفه ميلو، لكن لسوء حظه، هاجم اللصوص البيت في الليلة نفسها، فحملوا المسروقات عليه وعلى زميليه، وقادوه تحت الضربات الكثيرة الموجعة إلى مغارتهم في أحد الجبال(ينظر:(الحمار الذهبي ، ص ٩٠ ، ٩١) .

فاستصغرت كل جليل، وهزأت بكل صعب، ثم أكببت على الشراب حتى أتممته، وطلبت قدحا آخر، ثم شملتني غشاوة، وشعرت بأزرار سراويلي تنفجر، وإذا أيري يمزق قماش سروالي، وقد انتصب انتصابا مذهلا أخجلني، وإذا حجمه يكبر بشكل مريع، وإذا هو أشبه ما يكون بعضو حمار، وقد لجت ثيوزيس في الضحك لهذا المنظر المريع، ثم فجأة انفجرت صارخة، فقد تمزقت ثيابي كلها، وتكلَّس جلدي، وتحولت يداي ورجلاي إلى قوائم، وكبرت أذناي، وإذا أنا حمار...» [(١)].

فلكي يحدث التحول والمسخ والانتقال، من حالة لحالة، كان لا بد من غياب الوعي، ووسيلة ذلك الخمر، والشراب السحري، والشهوة المحرمة، التي صنعت للبطل طقسا مدججا بالمتعة اللحظية، ذات المفعول الأخاذ، فكان ما كان.

والصورة قائمة هنا على التدرج والفجائية، والتصوير البانورامي المتصاعد، و التحول في هذه الصورة بدأ من الإير؛ ليدل على المرحلة الحيوانية التي يحياها البطل، والتي تسيطر عليه دون سواها، فهو بدلا من أن يصير طائرا، والطائر رمز السمو والعلو والنبل، نجده يخلد إلى الأرض؛ نظرا لأنه لا يستحق أن يصعد للأعالي، ذلك لأنه أخلد إلى الأرض، واتبع هواه وهذا يذكرنا ببلعام بن باعوراء في سورة الأعراف، الذي أخلد إلى الأرض، بالرغم من علمه فكان جزاؤه: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦] .

جـ – لحظة التطهير والخروج من المسخ:

وأما عن لحظة التحرر والتطهير من المسخ، فتبدأ حين قرر البطل الممسوخ أن يخرج من الحمورية التي ارتضاها لنفسه، فذاق بسببها الويلات المختلفة، لقد علم البطل أن بعده عن قيمه، ومبادئه، وأصوله، هي التي

(١) حسن أوريد : ص ٢٠ ، ٢١.

أوقعته، وهبطت به إلى ما هو فيه من حمورية مقيتة، ولذا قرر أن يعود أدراجه، ويتجه جنوبا نحو أهله وقيمه.

ولم تكن رحلة العودة لإنسانيته بالشيء الهين السهل، فهناك عقبات في طريق العودة، فالكائنات من حوله تريد منه الاستمرار في الحمورية، والبعد عن الإنسانية، لذا وضعت أمامه عقبات كثيرة، وهو راجع إلى إنسانيه،" فقد مشى طويلا، وسط الوديان، والأحراش، والجرف"(١).

ثم كانت وحدة الليل، وعواء الذئاب(٢)، ثم قطع البطل كما يقول: " مجاري مياه جارفة تتخللها صخور ضخمة. وعلوت مرتفعات شاهقة، وأخذ السير يعسر، ولم تكن الطريق معبدة"(٣) ثم كانت هناك طرق لم تسلك من قبل، وكان نباح كلاب، ثم غابة كثيفة . ثم انجلت الصعاب، حيث ذهب الخوف وجاءت " جحافل من طير أبدت لي الود، فأنست بصحبتها. علا بعضها صهوتي، وغرد ببعض الغناء ولو كان منكرا، ولكني وجدت بها بعض الصحبة، وشيئا من الأنس"(٤). ثم انقلبت هذه الطيور لعدو له في الليل، ثم عادت الذئاب تعوي، كل هذا يدل على أن جميع من حوله لا يريد منه العودة لإنسانيته. ولذا كانت الصعاب من ذئاب وكلاب وهضاب، ومياه وطرق وعرة لدرجة أنه لام نفسه على العودة لإنسانيته حيث يقول : " من أجل ماذا؟ من أجل أن أمشي على قدمين، وأتكلم فيفهم الناس علي، وأحب وأعشق وأغضب .. من أجل أن أعود سيرتي الأولى، إن عدتها. لا أدري أي حماقة انسلت إلى ذهني زينت لي العودة، وجعلت التحول إلى الإنسانية ممكنا. ولكن هل

(١) حسن أوريد : (سيرة حمار) ، ص ١١١.

(٢) ينظر: السابق، ص١١١.

(٣) السابق، ص ١١.

(٤) السابق ، ص ١١٣.

أستطيع أن أعود أدراجي؟ الطريق إلى الوراء محفوف بالمخاطر، وليس لي إلا أن أكمل المسير ٠٠ واستأنفت السير"[١].

لقد قاوم البطل كل مونولوجات النفس، وكل التحديات والصعاب، من أجل العودة لإنسانيته، وكان لا بد من المسير، ولما قاوم كل الصعاب، صارت الصعاب شيئا مألوفا، فلم يعد يعنيه نباح الكلاب، ولا عواء الذئاب، ولا مكابدة الصعاب، ولذا قال لنفسه: "تقدم يا أسنوس. إرق الجبل"[٢].

وحين وصل للذروة من البحث في الذات، وحين عادت إليه ذاته، وأدرك أنه لا يمكن أن يكون حمارا، فالآخر يراه حمارا، لكنه يأبى إلا أن يكون إنسانا، لذا ألقى بنفسه في عين الماء التي عرفها من قبل عند الفيلسوف، حيث يصف تلك اللحظة التي تطهر فيه من حموريته وعاد لأصله : «تمددت على ظهري كما يفعل الإنسان، استسلمت لراحة غريبة. أغمضت عيني، وشعرت كما لو أن أوساخا تتسلخ من جلدي، من دون أن أدلكه. حركت قائمتي الأمامية اليمنى، فإذا هي تطاوعني. استغربت الأمر. حركت قائمة الشمال فهي تسري في جسدي في يسر، أخرجتهما من الماء، فإذا هما يدان. اهتززت مرتاعا، فإذا أنا أقف على رجلي، وإذا أنا إنسان جديد. حركت يدي من جديد لأتأكد، رفعتهما لوجهي، فإذا هو وجه إنسان. بحثت بين فخذيّ، فإذا عضوي ليس تلك الأداة الضخمة التي كانت ترهب خصومي. نظرت إلى جسدي، فإذا هو يحمل ندوب مرحلتي الحمارية حين مبارزتي للأسد. إنسان أنا يولَد من جديد. إنسان أنا يولد ذاته من ذاته، من دون قابلة لأنه قابلة نفسه. لم أستطع قمع صرخة، صرخة استهلال. صرخت ثانية، فإذا هي صرخة إنسانية، رددت ما

(١) السابق ، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) حسن أوريد ، ص ١١٦.

بنفسي، أنا أذربال، ثم همست بها، وأخيرا صرخت بها وانتهى صوتها إلى أذني دقيقا صافيا: أنا أذربال ولم يكن نهيقا "[١].

الصورة على إيقاع الهدوء والتدرج والاستسلام والفجائية، والصورة كما يبدو تبدأ بهدوء واستسلام لراحة غريبة، ثم تنخرط في حركة متدرجة من القائمة اليمنى إلى القائمة اليسرى اللتين تحولتا إلى يدين، ثم الوقوف على الرجلين، ثم تلمس الوجه باليدين، قبل أن يتحسس البطل قضيبه ليكتشف أنه عاد إلى طبيعته الإنسانية[٢].

صورة التطهير التي انطلق منها البطل فإن بدأ التحول فيها من اليدين، وكان الإير آخر ما تحسسه البطل، بذلك تعلن الصورة تطهره من مرحلة الحيوانية إلى مرحلة الإدراك، على اعتبار أن اليدين وسيلة إدراك، وباليدين تحسس وجهه، واكتشف ملامحه الإنسانية.

إن البطل الراوي يعلن عن ولادته، أو بالأحرى، عن توليد ذاته من ذاته، ويمعن في هذا المعنى إذ يطلق إثر ذلك صرخة استهلال. بإنهاء الاغتراب في نفسه، بما يجعله تطهيرا من كل مشاعر الغربة الوجودية، وكذا من الهوى ومن وضعية الضياع في منطقة الما بين. وقد تدرج الراوي كذلك في الصوت؛ من الترديد الداخلي، إلى الهمس بهويته الإنسانية، إلى الصراخ باسمه: «أنا أذربال»، فعاد الصدى إلى أذنه صافيا، ولم يكن نهيقا[٣].

والتطهر بالماء نسق ثقافي معروف في الديانات كلها، فالطهارة في المسيحية هي شكل من أشكال التخلص من الأدناس، وهي على عدة أوجه: جسديّة، وروحيّة، وعقليّة، وأدبيّة.. فخلال العشاء الأخير، " قام يسوع بغسل

---

(١) السابق ، ص : ١١٧ ، ١١٨.

(٢) البشير البقالي: سمة "تطهير" في رواية "سيرة حمار" (بتصرف)، موقع هسبريس الألكتروني ، الاثنين ٣ دجنبر ٢٠١٨ م.

(٣) ينظر : البشير البقالي : السابق .

أرجل تلاميذه، حيث قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، وصَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا[1]".

وفي الدين الإسلامي نجد عند الصلاة، و الغسل كاملا بالماء عند الجنابة، وهذا كله من أجل التطهير والسمو يقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة: ٦].

(١) [يوحنا ١٣:١٧] .

المبحث الثاني

الأوجه الخطابية في رواية سيرة حمار

رواية (سيرة حمار) مكتنزة بأوجه خطابية عديدة، ودلالات مختلفة، ولذا جاء السردي بسيطا، اعتمد خلاله الكاتب تقنية قصصية خطية قديمة، وهذه البساطة تجلت كشكل من أشكال المبالغة في بسط المضمون الفكري، الذي هو رهان الكتابة في هذا النص. يقول العربي الحميدي: " فالمنجز الأدبي غالبا ما يعبر عن مضمرات الإنسان، ويحمل في طياته كتلة هائلة، من المسكوت عنه. فتخرج آخذة عدة طرق منها المباشر، ومنها الالتفافي، حيث يتحول التعبير الكلامي من الشكل السكوني، إلى شكل تتابعي خطابي"(١).

ولقد استثمر الكاتب مستويات وأنواعا من الخطاب، وأعلاما ناقشها واستدل بها، وأحداثا وشعائر وطقوسا، فتداخلت الأزمنة والأمكنة، واكتسبت الرواية قوة إسقاطات شاسعة، وعمقا فكريا، ورعونة عجائبية، كل ذلك وضع القارئ أمام مأزق؛ أن يحول بعض معاني الحكاية إلى مقولات منطقية منسجمة(٢)؛ ولذا سنجد في رواية (سيرة حمار) لحسن أوريد كيانا كبيرا من الخطاب المسكوت عنه، وغير المعلن نحاول أن نستنبطه من خلال قراءتنا النقدية الآتية :

١- اختيار المؤلف لزمن ما قبل الميلاد، زمن سطوة الحضارة الرومانية، وامتدادها للعالم القديم " يشير إلى أن مخاضات البحث عن الذات، وإدراك صراعاتها، ثم فلسفة تلك المخاضات والصراعات، تظل

(١) العربي الحميدي: الأوجه الخطابية في رواية (سيرة حمار)، حمار" للمفكر والأديب المغربي حسن أوريد، نشرت بصحيفة رأي اليوم الإلكترونية، ٨ يوليو ٢٠١٨م.

(٢) البشير البقالي: «المتن والحاشية في سيرة حمار – قراءة في سمات السرد وسمات التجاوز»، نشرت بصحيفة القدس الإلكترونية، ١٧ / ٨ / ٢٠١٨م.

البذرة الدالة على وعي الإنسان المبكر منذئذ، وليست وليدة الحضارة المتأخرة فقط "[١].

٢- أما اختيار مكان الأحداث، ليكون في الشمال الإفريقي، وما حوله، وبين الأمازيغ المختلطين بالرومان والوندال واليونان وغيرهم، " ففيه إشارة إلى الحيوية التاريخية والجغرافية التي ميَّزت المنطقة، منذ ما قبل الميلاد، وجعلتها محطة للتثاقف والتقارب الحضاري. ويستطيع القارئ أن يتلمَّس من خلال القراءة، ما يحمله الكاتب من اعتزاز بأصوله الأمازيغية، ومدى عراقة هذه الأصول وجدارتها، بالذكر والتأصيل[٢]". وقد ذكرنا من قبل أن من أسباب تأليف هذه الرواية، هو اعتزاز الكاتب بأصوله الأمازيغية، ورفضه أن يختصر تاريخ المغرب في حقبة الفتح الإسلامي فقط.

٣- بدا لنا من خلال الرواية، أن الانسلاخ من المبادئ والقيم والأصول سهل جدا، لا يحتاج إلا خطوة، وبعدها يصل الإنسان للهاوية، فبمجرد شرب البطل للشراب السحري، فقد تحول وانسلخ، وهوى . فالانحطاط لا يحتاج سوى شربة، أو زلة قدم، وأما العودة للمبادئ للإنسانية مرة أخرى، فإنه يحتاج لمكابدة النفس والهوى والمجتمع للعودة مرة أخرى، وهذا ما فصلناه سابقا في رحلة العودة من وجود مخاطر وصعوبات، وكأن الدنيا كلها تحاربه، ليمكث حمارا كغيره من الحمير.

٤- الرذيلة والإحساس بالذنب كانت هي سبب المسخ، فالبطل أذربال يقول عن العشيقة: " كانت ثيوزيس تقرا ما يدور بخلدي من

---

(١) د نجمة إدريس : سيرة حمار ، صدر العدد الأول بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٧م وكان متاحا بموقعها الإلكتروني بتاريخ : الثلاثاء ١٩ يناير ٢٠٢١م.

(٢) د نجمة إدريس : السابق.

وخز الضمير، وتدعوني لأن أستقبل الحياة، بلا تسآل يعكر صفو ما نعيشه من لذة، وما نشترك فيه من نعيم، وقد أوحت إلى ذات مرة أن نفر من أليلي، ونعيش بعيدا عنها، وأظهرت لها عدم صواب ذلك، إذ لسوف تبلغنا جنود روما مهما نفعل"[١]. ويصرح البطل أيضا أثناء مسخه حمارا، بأن ما أوقعه في ذلك هو الحب المحرم، ولذا يقول:" لو لم ألتق بثيوزيس؛ لما حصل ما حصل"[٢].

وعلى النقيض من ذلك كان الحب النقي الأفلاطوني هو سبب العودة من المسخ، فبعد انتصار البطل في واقعة السيرك، حيث قدمه صاحب السيرك ليأكله الأسد الجائع، وقد استعمل فكره الإنساني فانتصر على الأسد، فأعجب به الجمهور وصار حرا، وعطفت عليه فتاة اسمها دونا،من المدافعات عن الحيوان، حيث أحبها حبا أفلاطونيا،

وكانت هيباتا ملهمة له في العودة نظرا لصدق الحب، وكان من صدق حبها لها أن وجهته للعودة لأصوله فسوف يجد نفسه، حيث قالت له: " إنك لتخفي شيئا أيها الحمار الودود، تراود نفسك بالرحيل. لا ضير إن كان ما تروم منه هو ملاقاة نفسك، لن أمسكك، ولو أني لسوف اجزع لهذا الفراق. ولست أشك أنك ستلقى نفسك"[٣].

وهذا يدل على أن الحب النقي يصنع المعجزات، ويدفع فيه المحب حبيبه للسمو والرقي، أما الحب المحرم، فيهوى بصاحبه لأسفل سافلين، فمن أجل عشق امرأة متزوجة هوى، وحين مسخ حمارا تخلت عنه، وهربت، وتركته وحده يقاسي مصيره.

٥- الرواية تعبر عن السفر في الذات

---

(١) حسن أوريد ، سيرة حمار ، ص ١٨.

(٢) حسن أوريد، سيرة حمار، ص ٣٠.

(٣) السابق ، ص ١٠٩.

الرواية تتحدث عن شاب نال حظا من المعرفة، وتعلم من أرقى المعاهد بقرطاج وروما، وأتى لموطنه لينغمر في العمل السياسي. لكنه تحول فجأة إلى حمار، حمار من نوع متميز، احتفظ بعقله وقدرته على التفكير، لتبدأ رحلة السفر في الذات، ابتداء من أزمة الهوية ثم إلى الإشكال الوجودي إلى استعادة إنسانيته.

٦- الإسقاطات المختلفة

الرواية بها إسقاطات كثيرة تعري المجتمع المعاصر، هذه الإسقاطات منوعة ما بين سياسية، واجتماعية، وثقافية، وفكرية، ووجودية، فالرواية ذات أبعاد، تعيد إحياء الجزء اللاشعوري في الإنسان الذي يجعل كل شيء مألوفا وغير ذي أهمية، فمن خلال الأحداث تعيد الرواية تشكيل الفكر الإنساني، والنظرة الفكرية في الإنسان اتجاه المحسوسات والوقائع .

فالساسة نفعيون، لا يهمهم إلا مصلحتهم لا مصلحة الأفراد، فالسياسي أوكتافيو عضو مجلس الشيوخ، ينشغل بالسياسية عن زوجته، مما يولد خواء عاطفيا يدفعها بالخيانة، على حساب القيم، والزوجة الخائنة كي ترضي نزواتها، تلتقط أحد أفراد الرعية، وأحد مثقفيها الواعدين، فتقضي عليه بنزواتها، وبدلا من أن تشجعه على التحليق، يمسخ بسببها حمارا، وتتخلى عنه، وهو في أشد الحاجة إليها، وتبدو عنصرية الساسة، وأنهم متعالون عن الشعب، فحينما شاهد الخادم المسخ في حجرة الضيوف قال له: "ويحك يا حمار ! أكبر شأنك لتقتحم مكانا هو مخصص لعلية القوم، ثم تقضي به حاجتك، لا ترعى حرمته"[(١)]، وفي هذا تحذير للشعب من أن يقترب من قصور حكامه، فهم أصحاب قداسه، لا ينبغي قرب الحمير من حرمهم. و حاكم المدينة أليلي لا يهمه إلا الشكليات، وأن يخلد الديكتاتورية فيقول : "عاش القيصر، عاشت

(١) حسن أوريد : سيرة حمار، ٢٣.

روما"[١]. وأن يخوف الشعب دائما من خطر محدق، ليشغلهم عن فضائحه المالية[٢]. والساسة عموما متحكم بهم، فهم لا يستطيعون " أن يخرجوا من خطاب مرسوم سلفا، هل يستطيعون أن يروا أبعد مما تتيحه مصالحهم، أو ما تفرضه تحالفاتهم، من أجل منصب، أو عهدة، أو لقب"[٣].

إن الكاتب ينعى على الشعب صمته عن ممارسات الحكومة، والحاكم، ولذا يقول: " تفكرت في ذلك كله، وقدرت أن لو أتيح لي الكلام؛ لتغيرت أشياء كثيرة في أليلي، بل في موريتانيا كلها"[٤]. وأنى للشعب أن يتكلم والحاكم (ممثلا في زوجة الحاكم) تلهي الشعب بشراب مسكر، ومتعة زائفة؛ ليغيب وعيه، ويظل حمارا، وقد كان. ذلك الشعب الذي يصفه الكاتب بأنه يسير في خطية لا يحيد عنها فيقول على لسان الحمار أسنوس: " لنا ذهنية هندسية تُفَضّل الخط المستقيم على المنحنى، لنا نزوع إلى البناء بالحجر عوض الطوب والتراب، لنا ذهنية عقلانية تربط بين الأشياء، وتقيم بينها علاقة سببية، ولا تؤمن بشيء يسمى الإشراق"[٥]. كما أن هذا الشعب يرفض الحقيقة، لأنهم " أنسوا بحقيقة مزيفة وضعوها، وأكاذيب تواضعوا بشأنها، ووجدو فيها مصلحتهم"[٦].

كذلك يدعو الكاتب إلى مراجعة المعتقدات والمقدسات ونقدها، وهذه ما رأيناه في الرواية من الجماعة التي تقدس الحمار، أو التي تقدس الخيل، وتجعل من الحمار، والخيل، وسيطًا بين السماء والأرض[٧]. حيث نجد أنفسنا

---

(١) السابق ، ص ٣٣ .

(٢) ينظر : السابق ، ص ٣٣ .

(٣) السابق ، ص ٣٨ .

(٤) السابق ، ص ٣٣.

(٥) السابق ، ص ٣٨.

(٦) السابق ، ص ٤٠.

(٧) ينظر : السابق ، ص ٤٨، وما بعدها.

أمام طرح سوسيولوجي، حول المعتقدات والمقدسات. بمعنى، هل المقدسات التي تتوجه لها الجماعة تكون وسيطًا لها بين السماء أم أنها تتوجه عن طريقها إلى نفسها؟ نجد حسن أوريد يؤكد لنا في روايته أن هذه المعتقدات من صنع الجماعة، بحيث يكون رمز تتخذه الجماعة لنفسها، ولهذا حينما تتجه الجماعة بطقوساتها حول الحمار، أو الخيل، فهي في الواقع تتوجه الجماعة إلى نفسها.

وهذا يسمح لنا بالقول : " إن المؤلف بشكل ضمني يود من قارئه أن يراجع معتقداته ومقدساته، ويخضعها للفحص والتفحيص والمساءلة والنقد. بمعنى آخر، وبلغة رونيه ديكارت، إذا كنت طالبا بشكل جاد وحقيقي حول الحقيقة، عليك أن تشك ولو لمرة واحدة على الأقل في معتقداتك ومقدساتك، وفي كل شيء من الذي غرس في ذهنك، منذ طفولتك لحد الآن، وبالتالي إعادة إحياء النعمة المسماة القدرة على التفكير التي تميزنا عن باقي الكائنات الأخرى"[١].

كذلك الرواية تضعنا أمام سؤال وجودي وهو: أليس الإنسان حيواناً من نوع خاص ؟هل هناك تمايز عن الحيوان؟ " فالمسخ دراسة مبتكرة لطبيعة الحيوان من منظور إنساني من وجهة نظر الممسوخ نفسه"[٢].

فالذي يميز الإنسان عن الحيوان هو التفكير والأحاسيس العالية، لكن قله من الناس للأسف هي التي تفكر، وتعمل من أجل مصلحة الآخرين، لكن غالبية بني البشر لا يفكرون إلا في مصالحهم ولا يواسون بني جلدتهم؛ ولذا تغلب عليها الطبائع الحيوانية، فهم يحبون الغلب، ويميلون إلى المتع، وينفرون

---

(١) إلياس التاغي : رواية «سيرة حمار» لحسن أوريد أية دلالات فلسفية وسوسيولوجية؟ نشر في جريدة الاتحاد الاشتراكي الإلكتروني بتاريخ ٢١/ ٢٠١٩/١م . ونحن لا نقر الكاتب على ذلك فالكاتب صادر عن فكره الإلحادي، الذي لم يكن يعترف بالمقدسات، ولا بالأديان، لكنه رجع عن ذلك، وإن كانت هذه الرواية، ولاسيما نهاياتها فيها إرهاصات للعودة إلى أصله وتراثه ودينه.

(٢) أميمة أبو بكر. ص ٢٤٢.

من التفكير، ويغلفون نزواتهم بغلاف إنساني نبيل. فالمسخ تأكيد للرابطة القديمة – عند بعض المفكرين– التي تضع الإنسان والحيوان على قدم المساواة " حيث سهولة، وإمكان حركة الروح، من مخلوق إلى آخر، ودفعها إلى خوض تجربة (أنا) حيوانية أخرى، كأن المسخ مجرد غطاء حيواني، يحجب النفس الإنسانية، لفترة ما، وفي رأي روخريك يدل هذا على الفهم الشعبي القديم القائل: بأن الحيوان ما هو إلا مخلوق إنساني في الأصل ولكن محول أو ممسوخ إلى شكل حيواني"(١).

وإذا كان الله كرم بني آدم وحمله في البر والبحر(٢)، فإنه يستحق ذلك لو سار على المنهج الذي رسمه الله له، ذلك المنهج الذي يسمو بالإنسان فعلا، وساعتها لن نحتاج للهروب عن الواقع بالمسخ وغيره، أما إذا لم يطبق الإنسان منهج ربه، فهو ممسوخ فعلا كالكلب، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث(٣).

كذلك تثير الرواية، وتركز على الاغتراب عن الذات، فالذات عاجزة عن المواجهة لذا هي تهرب من الواقع، فأذربال هارب، وثيوذوس العشيقة هاربة، والخادمة هاربة أيضا . وهذا الاغتراب يدفع الإنسان للبحث عن هويته المفقودة، فالمسخ في سيرة حمار له علاقة بالبحث عن الهوية، فالانفصال والخروج إلى الآخر؛ لنعرف كنه الهوية الأصلية من جديد. فانعزال النفس

---

(١) أميمة أبو بكر: المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة، فصول ، ع١ . ١ يناير ١٩٩٤م ، ص٢٤٢.

(٢) قال تعالى: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا".(الإسراء : ٧٠)

(٣) قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث) (الأعراف : ١٧٦.)

المفكرة الواعية عن الجسد، يتيح الفرصة لاستكشاف هذه الهوية، الكامنة في طبيعتها المعنوية المجردة[١].

وأخيرا تشير الرواية إلى إسقاط معاصر، فما أن تغلق عينيك وتسرح فى واقعك المعاصر، ستجد ونحن نتداول أخبار ما يعرف بـ " صفقة القرن " التي تريد أمريكا والغرب فرضها على شعبنا الفلسطيني، وسط غياب تام للعقل العربي الذي يبدو أنه قد استحال حمارا، بعدما فتن بتعاليم الغرب، وتحول في أقل من ثمانين عاما، من ثائر يأخذ بالعلم، ويريد المستقبل إلى مفتون بأنوار الغواية والاستهلاك، حتى رضي أن يدهن بسحر وهمي، ينقله إلى طائر يطير في آفاق الديمقراطية بالحرية، ولكنه تحول إلى حمار، يقوده آخرون مسخر، يرفل في الخطيئة، ويرى أجزاء من وطنه، تقتطع وأجزاء أخرى يباد أهلها، ولا يقدر إلا أن ينشد الخلاص ولكن متى الخلاص، لمتى يظل العقل العربي الحميري، عاجزا وغير قادر على طلب المغفرة والسعي لها؛ من أجل التطهر والغفران ؟[٢]"

الشعب العربي محتاج للتطهير كما تطهر الحمار أسنوس بطل الرواية ، فهو ليس بمسحور سحرا لا تنفك عقده، بل هو أسير أوهام، فهو صاحب حضارة، وصاحب تاريخ، إنه فقط يريد أن يتحرك فقط في اتجاه التطهر من دنس الحيوانية والإستحمار، وما عليه إلا أن يذهب إلى بحيرة " طبريه " ليغطس فيها ليستعيد ذكريات بطولاته ويقف على شاطئ بحر دمياط والإسكندرية وعكا ويافا ليسترجع مشاهد رايات الأجداد وهي تحمل النصر.

إن الإنسان العربي خلق حرا، لكنه استسلم، واستعبد، ومسخ، بفعل عوامل داخلية وخارجية، وكان من حقه ألا يفعل ذلك، لذا يسلط الكاتب " الضوء

---

(١) أميمة أبو بكر: المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة، فصول ، ع١ . ١ يناير ١٩٩٤م ، ص٢٤٠.

(٢) ياسر رافع : صفقة القرن ، سيرة حمار ، موقع ساحة التحرير ، ٢ممارس، ٢٠١٩م.

على موضوع من الموضوعات الأساسية في فلسفة هيغل وهي جدلية بين السيد والعبد. لكن بلغة وكتابة المؤلف في روايته، جدلية الأسد والقرد. بمعنى، ما جعل الأسد أسدا يتسيد على القرد هو استسلامه للأسد. بمعنى أدق، ما جعل الأسد أسدا هو الاعتراف، والرضوخ، والاستسلام، والخوف، وخشية القرد من الأسد. بمعنى آخر، ما جعل الأسد أسدا، أنه يخاطر بحياته، ولا يخشى الموت حتى النهاية، فاستطاع أن يظفر باعتراف القرد. بمعنى آخر، فإن الرضوخ والخوف، هو منبع العبودية، على الرغم من أن القرد له نقاط القوة وفي استطاعته التحكم في الأسد، لكن فضل الاستسلام على استغلال نقاط قوته[١]. لهذا يقول حسن أوريد في روايته « لو عرف القرد نقاط ضعف الأسد، لعرف أنه في إمكانه التحكم في الأسد»[٢]. وهذا يسمح لنا بالقول، بمعنى آخر، أن خوف القرد من الأسد، هو ما جعل القرد لا يفكر في نقط قوته، ونقاط ضعف الأسد. ألم يقل هيغل إن الخوف هو منبع العبيد، وأنهم في أصلهم محاربون، غير أنهم فضلوا الاستسلام على الموت، فصاروا أسرى، ثم عبيدا لينجبوا عبيدا، وبالتالي تشكلت طبقة اجتماعية، تتوارث منظومة، وقيما قائمة على تعاليم الطاعة والخنوع"[٣].

٨-الاختلاط الخيالي : إذ في الحقيقة هناك فواصل بين الإنسان والحيوان، فالكل له خواصه المحددة منذ أن خلق الله الكائنات، فالإنسان كرمه الله سبحانه وتعالى، وفضله على جميع الكائنات قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء: ٧٠)، أما الحيوان فهو مخلوق لخدمة الإنسان،

(١) إلياس التاغي: رواية «سيرة حمار» لحسن أوريد أية دلالات فلسفية وسوسيولوجية؟ جريدة الاتحاد الاشتراكي الإلكترونية ، ٢٠١٩/١/٢١م.

(٢) حسن أوريد : سيرة حمار ، ص ٩٤.

(٣) سعيد ناشد: التداوي بالفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر ،تونس، الطبعة الأولى ٢٠١٨م ، ص١٢٠.

وهو في درجة أقل بكثير منه، ولا يرقى أبدا لمستواه؛ لذا فهو مسخر لخدمة بني آدم على الحقيقة قال تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[النحل: ٥].

أما في الخيال، وخاصة الخيال الفني، فإن الفواصل تذوب بين الطرفين. تقول سهير القلماوي: " ولئن سهل تحديد هذه الفوارق في الواقع، وفي العلم بين الإنسان والحيوان، فإن الخيال ميدانه طلق، تختلط فيه الصور، وتتوالد كما تشاء، دون قيد، حتى ليصعب إيجاد الفواصل أحيانا"(١).

٩-ممارسة التفكير في التفكير: حسن أوريد في رواية (سيرة حمار) يدعو إلى كسر الحائط الرابع(٢)، فهو يدعو القارئ إلى ممارسة التفكير في التفكير، بمعنى آخر يدعو إلى إعمال العقل، أي لن يكون الإنسان إنسانًا عاقلًا أو متخلفًا، أو حتى فرحا إلا بإعمال التفكير. ألم يقل إيمانويل كانط " استعمل عقلك"، ففي نص لكانط، نشره سنة ١٧٨٤ في إحدى الجرائد البرلينية، عن سؤال: ما هي الأنوار؟ كتب يقول:" إنّ بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير"(٣)، بمعنى، العقل العاطل لا يصدر أي أمر أخلاقي وبالتالي يمكن القول إن حسن أوريد بشكل أو آخر، يدعو إلى الفلسفة، وهل كان تاريخ

---

(١) سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة، دار المعارف ، بمصر ، سلسلة الدراسات الأدبية ، رقم٦، ص٢١٠.

(٢) ويقصد به جعل المشاهد مشاركا في العمل المسرحي، واعتباره العنصر الأهم في كتابة المسرحية. والجدار الرابع معناه أن خشبة المسرح التي يقف عليها الممثلون، ويقومون بأدوارهم، هي تشبه غرفة من ثلاثة جدران، والجدار الرابع هو جدار وهمي وهو الذي يقابل الجمهور.

(٣) إمانويل كانط، ثلاثة نصوص: تأملات في التربية، ما هي الأنوار؟،ما التوجه في التفكير؟، تعريب وتعليق: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر،صفاقص – تونس، ط١، ٢٠٠٥، ص٨٥.

الفلسفة شيئًا آخر غير تاريخ التفكير وجرأة في استعمال العقل؟ ولذا يتحسر أسنوس في منولوج داخلي على الحمير لأنها لا تفكر: " هل المطلوب من حمار أن يفكر ؟ ما يطلب من حمار هو الجلد، وتحمل المشاق بلا تأفف، أما إن هو فكر، فقد يرى في وضعه ظلما، وقد يثور عليه، والخيرة ألا يفكر الحمير، وإن وجد بينها ما تفكر، فيستحسن أن تبتلى حتى تندثر نهائيا"(١). وفي هذا النص إسقاط على الإنسان الذي أعطاه الله العقل، ويرفض أن يستعمله، بل يعيش طول حياته ينفذ ما يمليه عليه غيره.

١٠- كشف زيف الأقنعة: الكاتب حسن أوريد في سيرة حمار، أراد أن يعلم مكنونات البشر، وأن يكشف ما يخفونه، وأن يميط اللثام عن خبايهم، فكثير من الناس يلبسون أقنعة مختلفة. فكان لا بد من كشف هذه الأقنعة، وكشف المستور من أجل الوصول للحقيقة، ولكي يصل إلى ذلك فقد دس حمارا مفكرا يرى ولا ينطق، يشاهد ويسجل ويلاحظ ولا يعلم به، وشرع الحمار يكشف خباياهم وأفعالهم ومنظوماتهم الفكرية والشعورية، وأساطيرهم وشعائرهم، دون أن يدركوا أنه يلاحظ ويدون، ويقدم تأويلات لكل مشاهداته، ويتخذ من خلالها موقفا من الوجود. والكاتب في ذلك يشبه ما فعله الكاتب الفرنسي هنري باربوس في روايته (الجحيم) فالراوي يقيم في غرفة فندق، ومن خلال ثقب في الجدار، يتلصص على الغرفة المجاورة، يراقب تصرفات الناس في أحوالهم المختلفة، ما بين الحزن والفرح، الألم والمرض، الحب والخيانة فهو في حالة من الغربة والعزلة، فهو لا يعيش الحياة إلا من خلال ما يراه من الآخرين، وكأنه مكتف بمشاهدة الحياة من خلف جدار، فهو يتابع بشغف ما يجري من أحداث، لينقل بأمانة صوراً من الحياة، ويصف بدقة المشاعر التي تربط بين البشر، متخطياً الجزئيّ إلى الكلي، والخاص إلى العام، متجاوزاً الوجود إلى العدم، مستعيناً بالعلم والأدب، مستثمراً الفطرة والفطنة، مستشفاً الإحساس

(١) حسن أوريد ، ص ٤٢.

والحدس، بحثاً عن الحقيقة، حقيقة الحياة وحقيقة الكون، نشداناً للراحة والخلاص، راحة الضمير وخلاص النفس[١].

١١- نرى أخيرا أن راوية (سيرة حمار) ربما تكون سيرة ذاتية، وجلد ذات بالنسبة لمؤلفها وكاتبها حسن أوريد نفسه[٢]، فالكاتب تمرد على حياة الفطرة التي نشأ عليها، وقيمه ومثله وعاداته، ورضي بالمسخ و الاستلاب، والازدواجية في شخصيته، حيث خرج من هويته كمغربي (بَلْدي) إلى مغربي مُفرنس.

فالكاتب حسن أوريد كان قد تجرد من هويته وقومه واتجه للشمال، وقد أغرم بعوالم العقلانية التي بشر بها الغرب، والوجودية التي أغوته في كتابات سارتر، وكامي، ولا سيما بعد الرحيل المأساوي لشقيقه في مقتبل الشباب، وعوالم فرويد الغائرة في النفس البشرية؛ معتبرا أن هذه المشارب التي تشبع بها، تؤدي للتحرر من قيود الدين، فقد كان ينصت للمعري يقول لا إمام سوى العقل، بينما يقول هو "لا هادي سوى الغرب"[٣].

ويستدعي الكاتب ضمور شعلة الإسلام في ذاته، قائلا: "لم يعد الإسلام في حياتي إلا ذكرى، وإلا حنينا يستدر مني التوقير، لأنه دين آبائي وأجدادي، ودين المجتمع الذي أضطرب به، ولكني لم أكن أرى نفسي مطوقا به. كنت أراه إصرا، ليس علي وحدي، فحسب، بل على المجتمع كله"[٤].

ففي (سيرة حمار) نرى حسن أوريد يبحث عن ذاته المهدرة، ويحكي الصراع الذي حدث بينه وبين أصوله، فقد نشأ نشأة صحيحة في جو أسرة

---

(١) ينظر: هنري باربوس : الجحيم ، ترجمة فتحي العشري، دار بيت الياسمين.

(٢) صرح المؤلف حسن أوريد في لقائه بقناة الجامعية على اليوتيوب أن هذه الرواية كانت تمس سيرته الذاتية ينظر : مجلة الجامعية aljamiaia بتاريخ : ١٥ أبريل ٢٠١٤م .

(٣) ينظر: حسن أوريد : رواء مكة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٩م. ص٢٦.

(٤) حسن أوريد : رواء مكة ، ص٣٥.

متدينة ذات أصول عريقة، ثم رحل للدراسة، واستلب من قبل الحضارة الغربية الممثلة في زوجة أوكتافيو التي تغوي، لذا قبل أن يكون مسخا لتلك الحضارة، وذاق بسبب ذلك ويلاتها، وقبل أن يكون فيها عبدا ذليلا لا كيان له، تحمله الحضارة وتسير به أينما سارت، وتعرضه في سيرك يتفرج عليه جمهور مخمور لا يهمه إلا نفسه، وحين رأت تلك الحضارة ألا جدوى منه رأت أن تقتله، وتطعمه للأسد، كل ذلك جعله، يصب جام غضبه على تلك الحضارة ويقول على لسان البطل أسنوس: " كيف أستطاع هؤلاء تجريدي من هويتي و هم لا يعدون أن يكونوا جميعا مجموعة من البلهاء و المغفلين والأغبياء ؟".

ولذا قرر البطل أو الكاتب أن يعود لأصوله وهويته؛ لأنه وإن استلب ومسخ فقد ربي تربية سليمة، فقد قالت له أمه قبل أن يمسخ: " إن من أضلته جوارحه، يهديه فؤاده، عن تطهر من أدران الهوى"(١). ولذا ظل وهو ممسوخ محافظا على عقله وقيمه البشرية، بالرغم من الصراع النفسي الرهيب، والمشقة الكاملة، لقد تكشف له زيف الحضارة الغربية، واكتشف أنها غابة بها قشرة من إنسانية، وأن البشر عبيد وحمير عندها، تلك الحضارة التي لن ترفع الممسوخين والمخدوعين بها، وغاية ما يصلون إليه منها إنما : " فعلي منذ اليوم أن أقبل حكم البشر عليّ، وعليّ أن أنظر إليهم، لا كما كنت أفعل من ذي قبل، ولا يهمني منذ اليوم صدقهم ولا كذبهم، أو فلسفتهم في الحياة، إن كانت لهم فلسفة، تهمني أشياء بسيطة، هل سيطعمونني من جوع، أو يؤمننوني من خوف؟ "(٢).

ولذا بعد صراع مع ذاته ومع مستلبيه قرر أن يترك الشمال ويرجع جنوبا لأصله، حيث اكتسب الحكمة والفلسفة، من حكيم يعيش في الصحراء، واستعمل عقله في النجاة من الأسد في السيرك، واغتسل وتطهر من آثامه،

(١) حسن أوريد ، سيرة حمار، ص ١٩، ٢٠.

(٢) حسن أوريد ، سيرة حمار. ص ٢٩.

وأخيرا وجد نفسه وذاته. إنها رحلة فكرية وفلسفية متقلبة الوجوه من أجل العودة إلى إرثه وأصوله وهويته. ولذا يقول الكاتب حسن أوريد في كتابه: (رواء مكة) وهو متجه لحج بيت الله الذي كان ينفر منه قبل ذلك : "وتحولت، أصبح لحياتي معنى، أدركت المعاني الدقيقة لنداء: (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وقد أحدثك عمن انتهى إليّ من معناها. أدركت معنى : الله أكبر، كنت منقبضا، فأصبحت منشرحا، كنت أخشى الحياة وصروفها، وأضحيت أهزأ منها ومن أحابيلها...كنت أهوى نفسي، وأأتمر بهواي، وأضحيت أضبط جماحها، أو أسعى لضبط جماحها"(١).

(١) حسن أوريد : رواء مكة ، ص ٩٣.

الخاتمة

تعرفنا من خلال دراستنا النقدية لسيرة حمار لحسن أوريد، كيفية توظيف تقنية المسخ للتعبير عن خطاب مكتنز بدلالات مختلفة، ولقد توصلنا- بفضل الله- للنتائج الآتية:

- إن رواية (سيرة حمار) رواية انتقادية ساخرة للمجتمع المغربي على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. وتتجاوز هذه القراءة "الوعي البشري، وتنقب داخل المخبأ وداخل اللاوعي.
- كثير من الروائيين يتوسلون بعالم الحيوان باستدعائه بحيل فنية مختلفة، من أجل توصيل خطاب ورسالة ودلالة مكتنزة.
- سبب تأليف (سيرة حمار) رد الاعتبار لحقبة تاريخية مهملة في المغرب العربي قبل حقبة التاريخ الإسلامي.
- في عملية التحول والمسخ استخدم الكاتب حيلة (المسرح داخل المسرح)، وهي حيلة فنية استخدمها المسرح من أجل كسر الحاجز بين الممثل والمتلقي.
- تتشابه رواية (سيرة حمار) تشابها كبيرا مع رواية (الحمار الذهبي) لأفولاي من حيث التقنيات والتوظيف وأوجه الخطاب.
- لم يستغرق البطل للدخول لعالم الحمير سوى لحظات، ولكن لكي يعود الإنسان لإنسانيته فإنه يحتاج لسنين طويلة، وإرادة قوية، من أجل التغلب على الصعاب .
- لكي يقنعنا الكاتب بإمكانية المسخ فنيا فقد عمد إلى: عنْوَنَ الكاتب لروايته ب(سيرة حمار)، والعنوان بهذا يفصح عن صدمة للقارئ، وكسر أفق توقعه . عمد المؤلف إلى حقبة تاريخية قبل الميلاد، موغلة في القدم. كان على الكاتب أيضا لكي يقنعنا بالمسخ والتحول، أن يجعلنا نعيش الماضي بكل ما فيه من أحداث تاريخية.

لكي يقنعنا الكاتب أيضا بفكرة المسخ؛ جاء السرد عجائبيا كذلك، تُجلِّه عبارات: «وكان عليَّ أن- حتى إذا بلغ الجمع مقصدهم. غلبة الهوى أيضا من الأمور التي حاول بها الكاتب أن يقنعنا بإمكانية المسخ.

- التطهر بالماء طقس معهود في الأديان والمذاهب وموروثات وعادات الشعوب.

- عملية التطهر من المسخ هي عملية ولادة البطل الراوي من جديد، أو بالأحرى، هي توليد ذاته من ذاته. والعودة من الاغتراب.

- الأوجه الخطابية في رواية سيرة حمار كثيرة منها:

١- أهمية الحضارات القديمة في بذر بذور التفكير والارتقاء بالإنسان.

٢- الكاتب يعشق تاريخه كله قديمه وحديثه.

٣- الانسلاخ من المبادئ والقيم والأصول سهل جدا، وأما العودة للمبادئ للإنسانية مرة أخرى، فهو صعب ومر.

٤- الرواية تعبر عن السفر في الذات

٥- الرواية بها إسقاطات كثيرة على الواقع المعاصر، سياسية واجتماعية وفكرية، ومن أهم هذه الإسقاطات، رفضها لصفقة القرن.

٦- الاختلاط الخيالي : إذ في الحقيقة هناك فواصل بين الإنسان والحيوان،أما في الخيال، وخاصة الخيال الفني، فإن الفواصل تذوب بين الطرفين.

٧- الرواية تدعو إلى ممارسة التفكير في التفكير وكسر الحائط الرابع بين المبدع والمتلقي.

٨- الرواية تكشف زيف الأقنعة المختلفة التي يتدثر خلفها كثير من الناس.

٩- نرى أخيرا أن راوية (سيرة حمار) ربما تكون سيرة ذاتية، وجلد ذات بالنسبة لمؤلفها وكاتبها حسن أوريد نفسه.

المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم - إنجيل يوحنا

ثانيا - الكتب

١- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٩٩٤م.

٢- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٨م.

٣- : لوكيوس أبوليوس : الحمار الذهبي، ترجمة : د . أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر ـ والدار العربية للعلوم بيروت، لبنان، ط٣ / ٢٠٠٤م .

٤- أوفيد : مسخ الكائنات : ترجمة دكتور : ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٥- فرانتس كافكا: الدودة الهائلة، ترجمة الدسوقي فهمي، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، الطبعة الأولى١٩٩٧م.

٦- لحمداني حميد: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة الدار البيضاء، ط ١/١٩٨٥م

٧- محمد الهواري: أحلام بقرة، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٨م، الدار البيضاء، المغرب.

٨- بنسالم حميش، سماسرة السراب، صادرة عن المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م.

٩- بنسالم حميش، محن الفتى زين شامة، صادرة عن دار الآداب، ١٩٩٣م .

١٠- محمد عز الدين التازي المباءة، صادرة عن أفريقيا الشرق.

١١- محمد عز الدين التازي، رحيل البحر : صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م.

١٢- وشغموم لميلودي :(عين الفرس)، دار الأمان، الرباط.

١٣- يحيى بزغود، الجرذان، منشورات منتدى الرحاب، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

١٤- حسن أوريد : رواء مكة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

١٥- حسن أوريد، سيرة حمار، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

١٦- الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني : تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

١٧- سعيد ناشد: التداوي بالفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر ،تونس، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.

١٨- سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة، دار المعارف، بمصر، سلسلة الدراسات الأدبية، رقم٦.

١٩- إمانويل كانط، ثلاثة نصوص: تأملات في التربية، ماهي الأنوار؟،ما التوجه في التفكير؟، تعريب وتعليق: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر،صفاقص – تونس، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠- هنري باربوس : الجحيم، ترجمة فتحي العشري، دار بيت الياسمين.

٢١- ابن حبان : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف / المشرف: محمد بن حبان البستي المحقق / المترجم: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤هـ

٢٢- الألباني (محمد ناصر الدين) : صحيح الجامع الصغير : المحقق / المترجم: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ١٤٠٨هـ .

ثانيا: الدوريات والمواقع الالكترونية

١- جميل حمداوي : في روايات يحيى بزغود، موقع ديوان العرب الألكتروني، السبت ٢٧ نيسان (أبريل)، ٢٠١٣م .

2- https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/m%c3%a9tamorphose/50881

٣- محمد أوشن : صور المسخ في الرواية، جريدة هيسبرس الألكترونية المغربية، الجمعة ٠٥ يونيو ٢٠٢٠م.

٤- بلوصيف كمال، أسطورة المسخ والتحول في الثقافات القديمة،مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٢٣ ديسمبر ٢٠١٦م.

٥- الدكتور نجم عبد الله كاظم، كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الأول + الثاني ٢٠١٠م.

٦- علاء الدين محمود : صحيفة الخليج الالكترونية، الأحد ٣ جمادى الآخر ١٤٤٢ هـ، ١٧ يناير ٢٠٢١ م.

٧- صحيفة اليوم السابع الإلكترونية بتاريخ الأربعاء، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٩م.

٨- مجلة الجامعية aljamiaia بتاريخ : ١٥ أبريل ٢٠١٤م .

٩- أسماء باشري: مهرجان للحمار في المغرب... مسابقات وجوائز وأدب، موقع أندبندنت عربية الألكتروني، الاثنين ٢٤ يونيو ٢٠١٩م.

١٠- الغزيوي أبو علي- د.بن المدني ليلة : مقاربة موضوعاتية لسيرة حمار للمؤلف حسن أوريد بين المقدس والمدنس، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية، تاريخ النشر: ٢٠١٨/٨/٢١م.

١١- دكتور رجب أحمد عبد الرحيم حسن: المسرح داخل المسرح عند صلاح عبد الصبور في مسرحيته : (ليلى والمجنون)، حولية كلية العربية- كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، المجلد ٢٤، العدد ١٠، أكتوبر ٢٠٢٠م.

١٢- دكتور الغزيوي أبو علي : سيرة حمار للمؤلف حسن أوريد بين درامية العرض وتأويلية اللغة الاستباطانية، منشور على موقع ١٧tv lana أغسطس ٢٠١٩م .

١٣- البشير البقالي: سمة "تطهير" في رواية "سيرة حمار" (بتصرف)، موقع هسبريس الإلكتروني، الاثنين ٣ دجنبر ٢٠١٨م.

١٤- العربي الحميدي: الأوجه الخطابية في رواية (سيرة حمار)، حمار" للمفكر والأديب المغربي حسن أوريد، نشرت بصحيفة رأي اليوم الإلكترونية، ٨ يوليو ٢٠١٨م.

١٥- البشير البقالي: المتن والحاشية في سيرة حمار- قراءة في سمات السرد وسمات التجاوز، نشرت بصحيفة القدس الإلكترونية، ١٧ / ٨ / ٢٠١٨م.

١٦- د نجمة إدريس : سيرة حمار، صدر العدد الأول بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٧م وكان متاحا بموقعها الإلكتروني بتاريخ : الثلاثاء ١٩ يناير ٢٠٢١م.

١٧- إلياس التاغي : رواية «سيرة حمار» لحسن أوريد أية دلالات فلسفية وسوسيولوجية؟ نشر في جريدة الاتحاد الاشتراكي الإلكتروني بتاريخ ٢١/ ٢٠١٩/١م.

١٨- أميمة أبو بكر: المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة، فصول، ع١ ـ ١ يناير ١٩٩٤م.